تقدير موقف

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

قراءة إقليمية في الارتدادات والجيوسياسية تجاه العراق بعد التمدد الجغرافي لهيئة تحرير الشام

د.علي بشار اغوان

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

قراءة إقليمية في الارتدادات والجيوسياسية تجاه العراق بعد التمدد الجغرافي لهيئة تحرير الشام

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط/ قسم الابحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / تقدير موقف

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

د.علي بشار اغوان / مدرس العلوم السياسية، جامعة الموصل

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

المقدمة

تشكل حالة الانهيار الأمني والعسكري التي تعيشها الدولة السورية من جديد واحداً من أهم الملفات المهمة في المنطقة، والتي قد تتشكل عليها ارتدادات جيوسياسية عابرة للحدود، من شأنها أن تسهم في بعثرة الملفات الإقليمية من جديد، ما حدث من تمدد جغرافي لهيئة تحرير الشام بالتزامن مع وقف إطلاق النار في لبنان يدل على أن هناك منهجية إقليمية مخابراتية تعمل بشكل تصاعدي لإعادة صياغة التوازنات داخل المنطقة.

إن وضع النظام السوري في هذه اللحظة، والذي يعيش عزلة استراتيجية كبيرة، يكمن وصفه بأنه يعيش أيامه الأخيرة في الحكم إذا ما تم إقرار ذلك دولياً بالاتفاق ما بين روسيا وإيران فضلاً عن الغرب. لهذا ونتيجة لهذه المتغيرات المتسارعة، نعتقد أن عملية تسليط الضوع على مجمل الأحداث يمثل طريقاً صحيحاً لمحاولة الفهم والخروج بتقييم جيوسياسي لما ينبغي أن يكون عليه تصرف الدولة العراقية تجاه هذه المتغيرات.

هيئة تحرير الشام

هيئة تحرير الشام، هي خليط من مجموعة فصائل مسلحة، صنف الجزء الأكبر منها على لائحة الإرهاب الدولي قبل عام 2017، اشتبكت هذه الحركات والفصائل في سوريا بعد عام 2011 فيما بينها مع النظام السوري والفصائل المسلحة المقاتلة في سوريا إلى جانب القوات الروسية.

أطلقت الجبهة عنوانها الجديد (هيئة تحرير الشام) بعد عام 2017 لتفادي إدراجها في لائحة الارهاب من أجل العمل بحرية أكبر والحصول على شرعية إقليمية ودولية. وفعلاً، هذا ما حدث حيث استطاعت الهيئة أن تحقق نوع من القبول الإقليمي والدولي، إذ لا تصنفها العديد من الدول، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية على أنها جماعة إرهابية في الوقت الحاضر. واقعياً تمثل هذه الفصائل خليطاً من جبهة النصرة وحركة نور الدين الزنكي (التي كانت مدعومة أمريكياً في وقت سابق) وبقايا القاعدة وجيش السنة وجبهة انصار الدين ولواء الحق وجزء ممن كان مع داعش، تصنف الجبهة على انها جهادية ثورية تتبع المنهجية السلفية.

تموضعت الهيئة في إدلب منذ عام 2017 بشكل شبه ثابت، وقد كانت لهذه المحافظة أهمية كبرى في تطوير قدرات هذه الجماعات. فإدلب تتصل جغرافياً بشكل مباشر بمحافظة أنطاكيا التركية، مما مكن الهيئة من فتح منفذ مباشر لتطوير قدراتها العسكرية والقتالية منذ تلك الفترة وحتى الآن. فضلاً عن ذلك، كان هناك دعم تركي غير مباشر لهذه الجماعات منذ تأسيس الجيش الحر والفصائل الأخرى التي كانت تقاتل بشكل مباشر ضد الأكراد في سوريا ونظام بشار الأسد.

أبو محمد الجولاني

أو أحمد حسين الشرع أو أسامة العبسي الواحدي، أمير جبهة النصرة التي ارتدت على أبو بكر البغدادي ورفضت بيعته حين إعلان دولة العراق والشام «داعش» عام 2014، تم وضع الجولاني على لائحة الإرهاب العالمية عام 2013 بسبب عدائه للولايات المتحدة. لكن سرعان ما تراجع عن هذا التهديد عام 2021 عندما تحدث في لقاء مع الصحفي الأمريكي مارتن سميث، حيث قال إن هيئة تحرير الشام لا تشكل أي تهديد للولايات المتحدة أو مصالحها في المنطقة. وفي لقاء آخر مع الصحفي أحمد منصور عام 2015، تحدث بشكل مباشر عن أن أهداف جبهة النصرة الرئيسية هي مقاتلة نظام بشار الأسد وحزب الله وداعش، وأن جبهة النصرة لا تحمل أي عداء للغرب أو للولايات المتحدة. هذا ما يفسر أيضاً عدم اهتمام الولايات المتحدة بملاحقته بعد هذا التاريخ، وغض النظر عن سلوكه من أجل إعادة إنتاجه من جديد وتوظيفه في الملفات الإقليمية المتعلقة بإدارة المنطقة، لاسيما في مرحلة ما بعد «طوفان الأقصى» عام 2023.

هو تلميذ أبو مصعب الزرقاوي وأيمن الظواهري، ويتبع نفس المنهجية التي كانا يتبعانها كعقيدة وعمل ميداني. تطورت قدرات الجولاني القتالية والقيادية عام 2003 حينما جاء إلى العراق وانضم لتنظيم القاعدة، حيث تم القبض عليه عام 2007 في الموصل أثناء قيامه بزراعة عبوة ناسفة في أحد أحيائها. تم إطلاق سراحه من سجن بوكا عام 2008، ليعود لممارسة نشاطه السابق ويُعيّن بمنصب والي الموصل. إلا أن الأحداث في سوريا أجبرته على مغادرة العراق والعمل على تشكيل جبهة النصرة بعد عام 2011، حيث عُيّن أميراً لهذه الجماعة لتنخرط بشكل مباشر في الحرب الأهلية السورية. تُصنف جبهة النصرة على أنها فرع لتنظيم القاعدة في سوريا. إن رفض الجولاني مبايعة أبو بكر البغدادي عام 2013، ثم مبايعته لأيمن الظواهري من جديد، أدى إلى نشوء نوع من الاحتكاك بين جبهة النصرة وداعش في سوريا.

التقدم نحو حلب وحماة وانهيار المنظومة العسكرية والأمنية السورية

أسهمت مجموعة كبيرة من العوامل في تسريع عملية سيطرة الجماعات المسلحة «هيئة تحرير الشام» على حلب وحماة من ثم ريف حمص، ولعل أهم الأسباب التي يمكن الوقوف عليها هي:

1. وجود دعم خارجي واضح لهذه الجماعات مكنها من تطوير قدراتها القتالية وتعزيز ترسانتها العسكرية، وتحقيق كثافة نارية متقدمة من أجل تحقيق هذا التقدم، فضلاً عن الدعم التكنولوجي والإعلامي المقدم لهذه الجماعة مما ساعد بشكل مباشر في إدارة الحرب الإعلامية والحرب النفسية التي يشنها هذا التنظيم اتجاه النظام السوري الذي يعيش عزلة عسكرية وإعلامية كبيرة منذ أيام.

2. تراجع الدور الإيراني في سوريا، حيث ركزت إيران خلال الفترة السابقة على محاولة إبقاء حزب الله متماسكاً في حربه ضد إسرائيل فضلاً عن تركيز إيران على دعم حماس بالإضافة إلى أن إيران نفسها واقعة تحت ضغط عالٍ في المنطقة إقليمياً من قبل الكيان، حيث تعرضت إيران لضربات مؤثرة خلال الأشهر السابقة من قبل إسرائيل سواء في قلب إيران او في العراق ولبنان وسوريا مما قاد طهران لإعادة صياغة تواجدها وتوزيع قواتها حسب الأولويات، إذ إن اغلب قادرة الحرس الثوري والمخابرات الإيرانية تواجدوا في لبنان من أجل صد هجمات الكيان على حزب الله. لهذا شهد النفوذ الإيراني تراجع واضح في سوريا، استثمرت هيئة تحرير الشام هذا التراجع لتتقدم نحو حلب وحماة وريف حمص من اجل إعادة صياغة شكل التوازن في المنطقة.

3. تفكيك منظومة حزب الله القيادية والصاروخية والقتالية، حيث انشغل حزب الله في جبهة جنوب لبنان والضاحية الجنوبية مما قاد إلى سحب مجموعة كبيرة من قياداته وقواته واعادتهم للعمق اللبناني بعد الاستهداف الكبير الذي تعرضت له منظومة القيادة الخاصة بحزب الله من قبل إسرائيل، هذه الانسحابات من سوريا ولدت حالة من الفراغ، تم توظيفه بشكل مباشر من قبل هيئة تحرير الشام لتحقق هذا التقدم العسكري.

4. إن الحالة المعنوية والاقتصادية التي يعيشها الجيش السوري تمثل واحد من أكثر التحديات التي كان النظام في سوريا يحاول إخفاءها أو تجاوزها، إلا أن الوضع الاقتصادي المنهار والحالة النفسية السيئة للجيش السوري والأجهزة الأمنية، فضلاً عن اتباع استراتيجية الصدمة والرعب من قبل هيئة تحرير الشام لم تمكن القيادة العسكرية السورية من ادراك ما يحدث إلا بعد أيام من تمدد هذه الجماعات وسيطرتهم على حلب وحماة، حيث يؤشر على الجيش السوري الكثير من ملامح الفساد وانتشار الرشى بين صفوفه، فضلاً عن فشله في إعادة تنظيم صفوفه من جديد كما فعلت هيئة تحرير الشام اثناء فترة اتفاقية تخفيض التصعيد.

5. استثمرت هيئة تحرير الشام مرحلة اتفاق خفض التصعيد الذي كان ضمن مخرجات لقاءات أستانا المتكررة، حيث استطاع هذا التنظيم تأسيس أكاديمية عسكرية لتدريب وتطوير قوات نخبة قادرة على تحقيق أهداف سريعة وخاطفة، كاحتلال المدن وإدارتها بفعالية.

6. إعادة صياغة منظومة القيادة: قام الجولاني بإشراك عدد كبير من المنشقين والقادة الذين كانوا سابقاً في صفوف الجيش السوري، نظراً لامتلاكهم خبرات قتالية كبيرة، في عمليات التخطيط وقيادة المعارك للسيطرة على حلب وحماة وريف حمص. وقد مثلت هذه الخطوة إحدى النقاط الفارقة التي أسهمت في تحقيق التفوق الذي وصلت إليه هيئة تحرير الشام.

7. تغيير التكتيكات العقائدية والعسكرية، اذ استخدمت هيئة تحرير الشام الطائرات المسيرة الانتحارية والاستطلاعية كجزء من استراتيجية إدارة الصراع بعد أن كانت هذه الجماعات تستخدم السيارات المفخخة والانغماسيين والانتحاريين، في وقت سابق وهذا يدل على أن هذه المجموعة استطاعت توظيف الدعم الدولي المقدم لها فضلاً عن تغيير عقائدها الجهادية اليمينية إلى الجهادية الوسطية.

انعكاسات سيطرة هيئة تحرير الشام على النفوذ الإيراني في سوريا والشرق الأوسط

بكل تأكيد، تشكل عملية سيطرة هيئة تحرير الشام خطراً بالغاً على النفوذ الإيراني في سوريا والمنطقة بشكل عام، حيث تشير المناطق الجغرافية التي سيطرت عليها الهيئة أنها ستصل إلى أهداف أهمها:

1. تمثل سوريا بالنسبة لمحور المقاومة الذي تتزعمه إيران حلقة رئيسية ومهمة بدونها سيكون المحور في حالة قطع مباشرة مع حلفاءه في لبنان وحماس بالدرجة الأساس، إن خروج سوريا ونظام الأسد من معادلة المقاومة سيقود بشكل مباشر لانهيار جزء كبير من محور المقاومة في المنطقة بعد تضرر منظومة حزب الله الصاروخية والقيادية والتعبوية وبعد تفكيك منظومة حماس وقدراتها القتالية حيث استثمرت إيران بشكل كبير الواقع السوري بعد عام 2011 لتنسج شبكة كبيرة من العلاقات الأمنية والاقتصادية والاستراتيجية داخل العمق السوري مكنها بشكل كبير من إدارة الصراع الإقليمي بشكل كبير، لهذا أن مساعي إسرائيل والولايات المتحدة تتركز بشكل واضح لاسيما بعد عملية طوفان الأقصى على إعادة صياغة الوجود الإيراني في المنطقة من خلال استهداف الجماعات المسلحة والأنظمة السياسية الموالية والقريبة من إيران.

2. قطع التواصل البري لإيران باتجاه البحر المتوسط عبر موانئ طرطوس واللاذقية لاسيما اذا ما سيطرت الهيئة على حمص بشكل كامل، حيث ستنقطع إيران بشكل رسمي عن أي منفذ مباشر مع البحر المتوسط وستنهار الاستثمارات الإيرانية في الساحل السوري ضمن قطاعات الموانئ والنقل ناهيك عن اغراضها الاستراتيجية الكبرى في المنطقة.

3. إن سيطرة هيئة تحرير الشام على حلب وحماة من ثم حمص سيقود بالنتيجة إلى انهيار شبكة كبيرة من العلاقات التي كانت إيران قد أسست لها بعد عام 2011 حيث تمثل حماة وحمص قاعدة رئيسة للحرس الثوري الإيراني في سوريا من أجل إدارة العمليات والتخطيط والتدريب والتعبئة، إذ إن محافظة حمص على تماس مباشر مع العراق وشمال لبنان،

هذه المحافظة تعني لإيران الكثير في المنطقة وأن خروجها من ضمن دائرة النفوذ الإيراني سيشكل ضربة ثانية لإيران في سوريا بعد انقطاع قدرة إيران على الوصول إلى الساحل السوري.

4. تزامن عمليات وقف إطلاق النار في جنوب لبنان وانطلاق عمليات هيئة تحرير الشام للسيطرة على حلب وحماة وحمص لم يكن حدثاً عفوياً في أي عملية تحليل استراتيجي لما يجري في سوريا، حيث إن تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو كانت واضحة فيما يخص ما سيحدث وقال حرفياً أننا ذهبنا باتجاه وقف إطلاق النار لتحقيق هدفين مستقبليين هما: تقييم الوضع العسكري الإسرائيلي وإعادة ملء المستودعات بالأسلحة من جديد وكذلك التركيز على تحجيم النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط من خلال استراتيجية جديدة، وما حدث في سوريا من سيطرة هيئة تحرير الشام لا يمكن إخراجه من أنه إعادة لصياغة الوجود الإيراني في سوريا.

5. ان خلاصة ما يريده الغرب وإسرائيل من عملية اخراج إيران من سوريا هو انتزاع أوراق تفاوضية مهمة تستخدمها إيران في المنطقة للضغط على الغرب في مفاوضاتها النووية، حيث تعمل إيران ومنذ فترات طويلة على كسب الجماعات والأنظمة السياسية وتوظفهم في مشروعها الاستراتيجي الشامل إقليمياً، لهذا وبعد عملية الطوفان، ظهرت إيران بمظهر الوسيط ما بين هذه الجماعات والأنظمة والغرب لكي ترفع من أدائهم أو تخفض هذا الأداء بناءً على ما سيقدمه الغرب لها من تنازلات.

الأهداف الاستراتيجية والتوظيف التركي لهيئة تحرير الشام

تشير التقارير لوجود علاقة واضحة غير مباشرة ما بين هيئة تحرير الشامل والدولة التركية، هذه العلاقة هي اشبه بعلاقة إيران مع الفصائل المسلحة، حيث إن كل جهة تستخدم هذه الفصائل لأهداف واغراض إقليمية معينة، وبسبب التماس الجغرافي بين أدلب «المنطقة التي تموضعت فيها هيئة تحرير الشام» منذ سنوات، استطاعت تركيا تطوير قدرات هذه الجماعة واستخدمت هذه الجماعة الأراضي التركية للتنقل وجلب المقاتلين والحصول على دعم ساعد في تطوير قدراتها، ولعلنا نحتاج للوقوف بشكل مباشر على أهم أهداف تركيا من هذا التوظيف ونشير لها بالآتي:

1. تسعى تركيا إلى خلق كيان موازي ورديف قادر على القتال وتحقيق أهداف تركيا في سوريا، حيث تمثل قوات قسد «قوات سوريا الديمقراطية» واحد من أكثر التهديدات التي تتعلق بالأمن القومي التركي في المنطقة، لهذا وجود هيئة تحرير الشام بهذا المستوى القتالي والجهوزية التعبوية العالية فضلاً عن سيطرتها على مساحات جغرافية كبيرة سيساعد تركيا في مواجهة قسد عبر هيئة تحرير الشام إذا ما تطلب ذلك، أو على أقل تقدير إيجاد نوع من التوازن العسكري في سوريا يمكن أن يجعل قوات سوريا الديمقراطية في حالة مشاغلة مستمرة بسبب وجود أكثر من تهديد ضدها.

2. إن فشل تحقيق التطبيع ما بين تركيا وسوريا وإعادة العلاقات ما بين الجانبين ساهم وبشكل كبير في اتخاذ تركيا قرار دعم هيئة تحرير الشام بهذا الشكل، حيث طالبت الدولة السورية بمجموعة من الشروط لكي تعود العلاقات بين الجانبين والتي رفضتها تركيا، وكان أهمها هو سحب كل القوات التركية من الأرضي السورية ورفع الدعم عن هيئة تحرير الشام والعودة إلى دمشق بهذه المطالب، وهذا ما عقد الأجواء بين بشار الأسد ورجب طيب اردوغان.

3. فضلاً عن ذلك، تسعى تركيا عبر دعمها لهيئة تحرير الشام إلى تحقيق هدف مهم وهو إعادة صياغة النفوذ الروسي التاريخي في سوريا، حيث تمثل هذه الفرصة واحدة من أهم اللحظات الاستراتيجية التي لن تتكرر بسهولة، تحاول تركيا توظيفها لإخراج روسيا من سوريا عبر لاعب عنيف ومسلح وهو هيئة تحرير الشام.

4. لا يمكن اغفال تماهي الأهداف الغربية والأهداف التركية فيما يحدث في سوريا، حيث إن سيطرة هيئة تحرير الشام تخدم بشكل كبير أهداف تركيا في سوريا، ومنها إعادة دفع إيران إلى الوراء فضلاً عن إيجاد كيان معادل وموازي لقسد بالإضافة إلى الضغط على بشار الأسد فضلاً عن ان السيطرة على دمشق إذا تحققت، فإنها ستتحقق من خلال مجموعة سنية قريبة من تركيا.

5. إن محافظة حلب وحماة وربما حمص وصولاً إلى دمشق تمثل هدفاً استثمارياً تركياً كبيراً في المستقبل، حيث إن وجود نفوذ لتركيا في هذه المناطق سيحقق مكاسب اقتصادية كبيرة لتركيا في المستقبل، لهذا تنظر تركيا على أن ما يحدث في سوريا هو جزء من فرصة اقتصادية قد تستطيع توظيفها تركيا في المستقبل اذا ما سيطرت هذه الجماعات على مساحات إضافية.

6. تسعى تركيا كذلك لإعادة النازحين السوريين الذين استوطنوا في تركيا بعد عام 2011، وإن أغلب هؤلاء النازحين لديهم علاقات قوية مع تركيا، وجزء منهم حصل على الجنسية التركية، وهذا يعني أن تركيا ستحقق نفوذاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً إذا ما سيطرت هيئة تحرير الشام على أجزاء إضافية من سوريا، وكذلك ستحقق سيطرة اجتماعية كبيرة كذلك.

الانعكاسات الجيوسياسية تجاه العراق

إن أي عملية تحليل استراتيجي حقيقية يجب أن لا تغفل بشكل مباشر ما يحدث في سوريا وما قد يترتب عليه من انعكاسات وارتدادات اتجاه العراق، حيث تعرض العراق لموجهة معقدة من العمليات الإرهابية قادت إلى سيطرة الجماعات الإرهابية بعد عام 2014 بعد ان اندلعت الأحداث في سوريا عام 2011، لهذا يسأل الكثير عما قد يحدث في العراق بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على حلب وحماة وباقي المناطق التي تتقدم اليها هذه الجماعات، لكن يجب أن نشير إلى أن العراق عام 2014 يختلف كلياً عن العراق عام 2024، حيث إن مستويات الطائفية متراجعة بشكل كبير والحرب النفسية التي كانت تشنها الجماعات الإرهابية اتجاه القوات الأمنية قد انتهت بشكل كامل فضلاً عن إعادة تماسك القوات العسكرية والأمنية العراقية وتراكم الخبرة والتجارب في ملاحقة وتفكيك الشبكات الإرهابية وتراجع نسب الفساد بشكل كبير في صفوف المؤسسات الأمنية، حيث كان أحد أسباب انهيار المنظومة العسكرية العراقية عام 2014 هو وجود الفساد لاسيما في قيادات هذه المؤسسة، لهذا من حيث المبدأ، فإن المقارنة بين ظروف العراق الحالية وظروفه عام 2014 قد تكون غير صحيحة للحديث عن إمكانية تمدد هذه الجماعات اتجاه العراق، وعلى الرغم من ذلك يجب أن نتحدث عن مجموعة انعكاسات قد تظهر في المستقبل وعلى النحو الآتي:

1. إن تورط العراق في الصراع السوري الحالي سيضعه بشكل مباشر في لائحة استهداف مخابراتية دولية، حيث تشير التقديرات إلى أن هيئة تحرير الشام قد تم صياغة أهدافها بشكل مباشر لمعالجة النفوذ الإيراني في سوريا وتحجيم أو إسقاط نظام الأسد، بالتالي، فإن فهم هذا التصور بشكل صحيح قد يجعل من العراق بعيداً عن الاستهداف.

2. إعلان هيئة تحرير الشام أنها لا تتطلع للتمدد بشكل مباشر خارج حدود الدولة السورية، وهي اساساً لا تستطيع فعل ذلك، لاسيما في ظل وجود قوات سوريا الديمقراطية التي تسيطر على مساحات مناطق غرب الفرات، وهذا يعني أن أقرب منطقة باتجاه محافظة نينوى تبعد أكثر من 500 كلم عن مناطق سيطرة هيئة تحرير الشام، غير أن محافظة حمص ترتبط ارتباطاً جغرافياً مباشراً مع محافظة الانبار، لهذا يجب أن تكون هناك استعدادات مهمة في قاطع عمليات الأنبار كإجراء وقائي مستقبلي.

3. إن أكثر ما يمكن أن يقود لانعكاس مباشر اتجاه العراق هو حدوث احتكاك مباشر بين قوات هيئة تحرير الشام وقوات سوريا الديمقراطية، حيث تسيطر قوات سوريا الديمقراطية على عشرات السجون التي تحوي على معتقلين مدانين بالإرهاب فضلاً عن المخيمات القريبة من الحدود العراقية ومنها مخيم الهول، نحن نتحدث عن 60 ألف شخص مناصر لداعش أو مدان بتهمة تتعلق بالعمل مع داعش موجود ما بين المخيمات والسجون، حيث إن أي انهيار أمني يمكن أن يحدث أو وجود ضغط إقليمي على قسد لاخراج هؤلاء من السجون أو المخيمات قد يقود لبعثرة الأوراق في سوريا من جديد مما قد يجعل العراق في واجهة الاستهداف.

4. على الرغم من وجود تطمينات مشتركة ما بين قوات سوريا الديمقراطية وهيئة تحرير الشام على أنها لن تواجه بعضها خلال هذه المرحلة كما فعلت في وقت سابق، إلا أن هذا الاتفاق لا يمكن الرهان عليه لتحقيق متطلبات الأمن القومي العراقي لاسيما إذا ما علمنا أن قوات سوريا الديمقراطية قد أصدرت عفواً عاماً عن سجناء كانوا مدانين بأعمال إرهابية وانتمائهم لتنظيم داعش قبل أشهر قليلة، جزء من هؤلاء القيادات والمقاتلين يقاتلون مع هيئة تحرير الشام بشكل مباشر في عملياتها الأخيرة وهذا يعني أنه لا ضمانات حقيقية يمكن الرهان عليها سواء من قسد أو هيئة تحرير الشام.

5. كل ذلك لا يعني بالضرورة أن العراق يجب أن يندفع كدولة ومؤسسات عسكرية وأمنية للتورط في العمق السوري أو الحرب الدائرة في سوريا وأنما يجب أن تكون أولوية الدولة العراقية هو الجلوس في طاولات الحوار المخابراتية عبر القنوات الخلفية الإقليمية واجراء تقييمات أمنية مستمرة وتحشيد الجهود العسكرية والأمنية بناءً على ما ستفرزه هذه التقييمات وتعزيز ملفات إدارة الحدود العراقية السورية بقوات إضافية وابراج مراقبة وكامرات حرارية وطائرات مسيرة وجهد استخباراتي مكثف.

6. إن موقف قوى محور المقاومة في العراق هو الآخر يمكن اعتباره حتى الآن موقفاً عقلانياً لانه غير متورط في الأحداث السورية، وهذا يعني عدم استهدافهم إذا حافظوا على هذا الموقف، خصوصاً أن إيران لا تريد الذهاب بعيداً في خياراتها بالمنطقة ومستعدة للتخلي عن بعض النفوذ في لبنان وسوريا وربما العراق من أجل الحفاظ على وجودها في المنطقة، لهذا أن أي تورط عراقي سيعني بالدرجة الأساس ذهاب قوى المحور إلى بؤرة الاستهدف والتصفية وهذا ما تريده إسرائيل بشكل مباشر، وهو سحبهم إلى معركة لكي تسهل عملية تصفيتهم.

7. فضلاً عن ذلك، لا يمكن فصل ما تريد فعله حركات المقاومة في العراق عن التبعات التي قد تترتب على العراق، حيث إن أي تحرك ستقدم عليه حركات المقاومة العراقية اتجاه سوريا سيكون العراق هو المستهدف الأول فضلاً عن القوى نفسها، لهذا من غير الصحيح توريط الدولة العراقية في صراع غير محسوب خلال الفترة القادمة، حيث قد يتعرض العراق لعقوبات اقتصادية وضربات تتعلق ببناه التحتية وموانئه ويدخل العراق ضمن دائرة الاستهداف المباشر بسبب هذا التصعيد.

8. وكخلاصة مهمة، لا تعد هذه المعركة عراقية بأي شكل من الأشكال بقدر ما أن العراق يحتاج لتقييم الأمور بشكل صحيح ويتحرك إقليمياً بناءً على ذلك، إلا إذا قررت هذه الجماعات في سوريا التمدد إلى العراق، وهنا يجب ان يكون هناك موقف حازم وقوي من قبل الدولة العراقية لإيقاف أي محاولة قد تأتي من خارج الحدود.

الخاتمة

لا يمكن فصل ما يحدث في سوريا عما حدث في غزة وجنوب لبنان وما قد يحدث مستقبلاً في العراق واليمن وإيران، حيث إن انهيار الأوضاع من جديد في سوريا يشير إلى ان وعود رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بدأت بالتحقق حينما عرض خارطة العقاب الصهيونية في الجمعية العامة للأمم المتحدة وتحدث عن «محور الشر» وأشار بشكل مباشر إلى لبنان وسوريا والعراق واليمن وإيران، وها هي المرحلة الثالثة التي بدأت بالتصاعد في سوريا، حيث ليس من الضروري أن تقوم إسرائيل بعمليات انتقامية مباشرة من الدولة السورية عبر القصف والاستهداف المباشر كما حدث في لبنان وغزة بقدر ما ان إسرائيل تطور عقاباً من نوع آخر وهو العقاب بالفوضى وبتوظيف المجاميع المسلحة من أجل ضرب الدولة السورية وتفكيكها، ولعل ما فعله نظام الحكم في سوريا طوال الفترة الماضية لاسيما ما يخص قتل الشعب السوري بشكل عشوائي بحجة الدفاع عن الدولة السورية جعل من الصعب التمييز ما بين الأصلح في خيارات الفوضى التي قد تترتب نتيجة لوجود هيئة تحرير الشام بسبب تراثها الدموي وخلفياتها الجهادية، أو ما بين بطش النظام السوري وقتله للسوريين طوال السنوات السابقة.

لهذا، والأصح حتى كتابة هذه الورقة، لا ينصح بذهاب العراق إلى هذه المعادلة المعقدة ولا ينصح بتورطه بهذا الصراع لان العراق قد يكون التالي في عملية الاستهداف عبر العقوبات الاقتصادية وضرب المنصات النفطية من أجل دفع إيران للمزيد من الخطوات إلى الوراء كما تحاول أن تفعل إسرائيل في لبنان عبر تدمير منظومة حزب الله وكما فعلت في غزة عبر تدمير حماس وكما تفعل الآن عبر تدمير الدولة السورية عبر الفوضى.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org